المحاضرة الخامسة: انعكاسات العولمة على الفرد والمجتمع ودور المرشد

تمهيد:

يقول المختص الأنثربولوجي (لنتون) في مجال التعليق على آثار العولمة على الفرد والمجتمع، خاصة فيما يتعلق بغزو الحضارات كأ د أهم مظاهر العولمة: "إن كل ضارة تتألف من عموميات وخصوصيات وبديلات، فأما العموميات تتضمن القيم والعادات والتقاليد والأفكار الأساسية التي تربط بين جميع أفراد المجتمع، وأما الخصوصيات فهي تلك المفاهيم والعادات التي لا تتعارض مع العموميات، وإنما هي خاصة بفئة من المجتمع دون أخرى كفئة الأطباء والعمال وغيرهم، أما البديلات فهي تلك الأفكار والعادات التي يتبناها (الفرد) كهواية شخصية أو كتلبية لحاجاته الفردية، ولا ضرر منها على المجموعة، فعند تعرض ضارة لغزو أخرى، يكون التقليد الأعمى من أبناء الحضارة المغزوة" (بلقاسمي، 2012، ص50).

يظهر من خلال هذا الطرح أن آثار العولمة تمتد من الفرد لتشمل المجتمع سواء كانت هذه الآثار ذات صبغة إيجابية أو سلبية، ويبدو أن النقاش بين البا ثين والاجتماعيين والتربويين فيما يتعلق بآثار العولمة يركز أكثر على الجوانب السلبية انطلاقا من مقاربات الحذر اتجاه أبعاد العولمة خاصة في بعدها الثقافي.

وفيما يلي أهم آثار العولمة على الفرد والمجتمع:

أولا- آثار العولمة على الفرد:

يستشعر الفرد خاصة في مر لتي المراهقة والشباب أثناء عملية النمو التي تؤدي به إلى الرشد، نوعا من الحيرة والتيه وسط ما يراه من المظاهر التقليدية النابعة عن أعراف المجتمع وعقيدته الدينية وقيم الآباء والأجداد وبين المدخلات الجديدة التي أضيفت على المجتمع من مظاهر الحداثة والتي منبعها الغرب، هذا الأمر يجعل العديد من التساؤلات تتكاثر في ذهنه فأي النموذجين يتبع؟ كيف يمكنه أن يتكيف مع كل هذه الأجواء؟ من على صواب ومن على خطأ؟" (بلقاسمي، المرجع نفسه، ص50).

وهذا ما يجعل دائرة تأثيرات العولمة على الفرد تتسع لتشمل مجموعة من النقاط يمكن تلخيصها في الآتي:

- الاستخدام المفرط والعشوائي للغات غير اللغة الأم كوسيلة للتخاطب والتواصل مع الآخرين، وعلى رأسها اللغتين الإنجليزية والفرنسية، يث أصبح الشاب يميل إلى استخدامها أكثر فأكثر خاصة عند التخاطب مع الأقران والأصدقاء أو مع رؤساء العمل، وأضحى هذا الفعل ينم عن مستوى

الشاب باللغة العربية الفصحى، بل إن هذا الأمر أصبح مدعاة للضحك والسخرية ومؤشر عن تخلف وتدني مستوى من يتحدث بها (آمنة ياسين، 2009).

- نقص واضح في الروح الوطنية لدى الشاب يتمظهر في عدم إقباله على الرموز الوطنية، وفقدان واضح للثقة في الذات الوطنية، وقد أدركت وزارة التربية الوطنية حقيقة الأمر، وقامت باتخاذ جملة من الإجراءات الرامية (تسبها) لإعادة إحياء الحس الوطني، وحب الوطن في أوساط الشباب والمراهقين.
- طمس واضح لمقومات الفرد الدينية والأخلاقية، فإلى جانب إقبال نسب معتبرة من الشباب على التدين عن اقتناع، اتجهت مجموعات أخرى للابتعاد عن دينها.
- ويمكن أيضا تلمس تأثيرات العولمة على الفرد ضمن مقاربة تأخذ بعين الاعتبار فئة المراهقين والشباب في الجزائر بصفة خاصة في بعض المظاهر من قبيل:

أ. مظاهر التلوث الثقافي:

- إذ تجد أعدادا معتبرة من الشباب من يعرف الكثير عن البلدان الغربية وخاصة ما يتعلق بالفن والسينما والرياضة، ويعرف القليل عن تاريخه الديني ومنجزات الحضارة الإسلامية.
- الإقبال الكبير على القنوات التلفزيونية الغربية لفهم اللغة، مقابل إحجام عن تتبع القناة الوطنية أو القنوات الدينية وكذا تتبع البرامج الشبابية المستحدثة.
- شيوع الثقافة الاستهلاكية، ما ساهم في تشويه بعضا من تقاليده وأعرافه، فانتشار الأزياء والمنتجات الأمريكية والأوروبية جعلت الكل يلبس على الموضة الغربية ومن مظاهر شيوع الثقافة الاستهلاكية في أوساط الشباب الجزائري كذلك، تأثره بأنماط استهلاكية معينة في المأكل والملبس.

ب. مظاهر الانحلال الخلقي:

- شيوع ما يسمى بأدب الجنس في أوساط الشباب من خلال الحصص والأفلام الإباحية التي يتبعونها على القنوات الفضائية، ما أدى إلى تفشي أنواع الرذيلة بينهم.
- شيوع استخدام وسائط التواصل الاجتماعي ومواقع الانترنيت المختلفة، مما يكرس انعزال الفرد علن بيئته الاجتماعية وانغماسه في عالم افتراضي مبني على الوهم والخيال، وهو ما يقلل من فرص التفاعل الاجتماعي البناء ومساهمة الفرد في إفادة مجتمعه من خلال الأنشطة والمهارات التي يمكن أن يمتلكها.
- اختلال منظومة القيم لدى الفرد وانبهاره بالثقافة والهوية والقيم الغربية التي لا تتماشى في كثير من الأحيان مع القيم والعادات والتقاليد التي نشأ عليها مجتمعيا، مما يدخله في صراع هوياتي

داخلي من نا ية وصراع مع المجتمع من نا ية أخرى بالتمرد على المتعارف عليه من هذه المنظومة القيمية التي تشكل هويته.

ج. مظاهر العنف:

أججت العولمة الثقافية والغزو الإعلامي فكرة العنف ونشر كبير لثقافة العنف في أوساط الشباب، وكأن العنف أصبح ظاهرة عادية وطبيعية أو أسلوب ياة تمظهر في أشكال الاعتداءات ونسب الإجرام المتنامية، خاصة بفعل الصناعة السينمائية الغربية لأفلام الحركة والقتل والحروب، مما يجعل من الفرد يبني تصورات ومفاهيم خاطئة عن العنف الذي بات أسلوبا للحياة لدى الكثير من الأفراد.

ثانيا- آثار العولمة على المجتمع:

من بين الآثار السلبية ومخاطر ظاهرة العولمة على المجتمع:

- التركيز على رية الإنسان الفردية وتكريس النزعة الأنانية للفرد، وتعميق مفهوم الحرية الشخصية في العلاقة الاجتماعية وفي علاقة الرجل بالمرأة، الأمر الذي يؤدي إلى التساهل مع الميول والرغبات الجنسية وتمرد الإنسان على الأكام الشرعية ثم إلى الانحلال الخلقي وخدش الحياء والكرامة والفطرة الإنسانية.
- هدم كيان المجتمعات خاصة من خلال المغالطات المرتبطة بدور المرأة في الأسرة والمجتمع، عن طريق سعي الأنظمة الغربية إلى تمويل الهيئات والجمعيات النسائية الرامية إلى إخراج المرأة المسلمة (بصفة خاصة) وتمردها على الأخلاق الإسلامية.
- زيادة معدلات الفقر والبطالة وتقليص فرص العمل لاعتماد الشركات لليد العاملة بالتقنيات الجديدة المرتبطة بالكومبيوتر.
- تؤدي العولمة إلى تضاؤل الطبقة الوسطى في المجتمع، وقد تؤدي إلى انقراضها وتحول المجتمع إلى طبقتين معدمين بؤساء وطبقة شديدة الثراء، مع تشجيع هذه الظاهرة للتفاوت الشائع بين الأغنياء والفقراء والتباين الصارخ في توزيع الدخل والثروة على الصعيدين المحلي والدولي.

في ظل هذه التأثيرات والآثار السلبية للعولمة على كل من الفرد والمجتمع، يبدو أن دور الأنظمة التربوية في مواجهة مثل هذه الآثار يعد دورا جوهريا، يث أصبحت هذه الأنظمة مدعوة بقوة إلى إعادة النظر في فلسفتها التربوية وممارساتها البيداغوجية ومحتويات مناهجها لمواجهة هذه الانعكاسات التي تهدد كيان الفرد والمجتمع على د سواء.

ويضطلع ميدان الإرشاد التربوي بدور محوري في هذا الصدد من خلال ما يمكن للمرشد التربوي وبرامج الإرشاد أن تقدمه من خدمات إرشادية من شأنها التحسيس بمثل هذه الآثار السلبية للعولمة واقتراح الحلول والآليات الملائمة لمواجهتها بين أوساط المتعلمي

ثالثا- دور المرشدين التربويين في مواجهة آثار العولمة:

بالإضافة إلى الأدوار التقليدية المنوطة بالمختصين في الإرشاد التربوي، فإن تأثيرات ظاهرة العولمة أضفت أبعادا وأدوارا إضافية على وظيفة الإرشاد في الميدان التربوي، خاصة في ظل الانعكاسات السلبية لهذه العولمة على الفرد والمجتمع، ومن بين أهم الأدوار التي يمكن أن يلعبها المرشد التربوي ضمن هذا السياق المعولم:

- الاضطلاع بتحسيس المتعلمين ومجتمع المدرسة بأخطار وسلبيات العولمة على بنية الفرد النفسية والسلوكية ضمن نشاطات الإعلام المدرسي من خلال إدراج المواضيع ذات العلاقة بتأثيرات العولمة في البرنامج الإعلامي لأخصائي الإرشاد التربوي.
- التوجه نحو إقامة الاتصالات وتكوين شبكة علاقات بين المرشد التربوي والمؤسسات التربوية والمهنية والهيئات الاجتماعية المختلفة ذات العلاقة بمهنته، لرصد معالم الواقع الاجتماعي المحيط بالمؤسسة التربوية، وتأثيرات هذا الواقع على سلوك واتجاهات المتعلمين، بما يتيح تحكما أكبر في قدرات التشخيص والعلاج لمختلف المشكلات المرتبطة بتأثيرات المحيط الاجتماعي المتأثر بدوره بأبعاد ظاهرة العولمة.
- عمل المرشدين التربويين على تشجيع المعلمين على استخدام المعلومات الإرشادية لمعالجة مشكلات المتعلمين، من خلال تمكين المعلمين من استخدام تقنيات الإرشاد الفردي والجماعي، بغية تطبيقها في المواقف التربوية المختلفة، انطلاقا من أهمية هذه التقنيات الإرشادية في معالجة ما يمكن أن يعترض التلاميذ من مشكلات في البيئة التربوية من نا ية، وإدماج مختلف الفاعلين في العملية التربوية وعلى رأسهم المعلمين في تنفيذ خطط وبرنامج الإرشاد التربوي، التي أصبحت مطلبا ضروريا في ظل تأثيرات العولمة على الفرد والمجتمع من نا ية أخرى.
- إدراج مواضيع الهوية الثقافية وسبل المحافظة عليها وترقيتها بين التلاميذ ضمن محاور العمل الإرشادي في الحقل التربوي، من خلال عمل المرشدين على تطوير مقاربات بيداغوجية تستهدف مثل هذه المواضيع وإمكانية مساهمتها في التقليل من بعض الآثار السلبية للعولمة الثقافية.
- ترقية الإرشاد والتوجيه المهني تحضيرا للتلاميذ لعالم الشغل في ظل التغيرات الحاصلة في هذا الميدان بفعل تأثيرات العولمة، من خلال إدراج مواضيع بناء المشروع المهني الشخصي والفكر المقاولاتي ضمن البرامج الإعلامية والإرشادية.

الخلاصة:

تناولت المحاضرة انعكاسات العولمة على الفرد والمجتمع، مشيرة إلى تأثيرات سلبية مثل التلوث الثقافي، الانحلال الخلقي، والعنف.

أوضحت المحاضرة كيف تساهم العولمة في تغييرات سلبية على مستوى القيم والأخلاق وزيادة الفقر والبطالة داخل المجتمع.

كما أكدت على أهمية دور المرشدين التربويين في مواجهة هذه التحديات من خلال توعية المتعلمين، تعزيز الهوية الثقافية، وتوجيه التلاميذ نحو اختيار مهني واعٍ يتناسب مع متطلبات العصر.